التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية الفصحى _ بين الإنصاف و الإجحاف _

د. محمد عيساوي
جامعة المسيلة

مقدمة :

تأخذ بعض القضايا اللغوية موقِعًا أثيرًا في الكتابات الفكرية و الثقافية خلال عصرنا الحالي ، ومن بينها التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى، والمتأمل لهذه التحديات يرى مدى تجذرها في التاريخ ، فهي ليست وليدة اللحظة ، بل هي موغلة في القدم ، وهذا ما أكده الدكتور حسين نصار بقوله : "إن أكبر تحدٍّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في القرنين الثاني والثالث الهجريين في بحر زاخر من الحضارات ..وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية كالفرس والروم والسريان والمصريين، والأمم البعيدة عنها كالهنود والصينيين والأتراك والبربر وشعوب أسبانية. ولكن العربية ثبتت لهذا التحدي بفضل ما بثه الإسلام في العرب من رغبة في المعرفة وسعي في طلبها وطموح وعزم وتخطيط وتنفيذ وتعاون مع غير العرب من أبناء الشعوب العارفة باللغات الأجنبية... فصار ما كتبه هؤلاء المفكرون والعلماء منذ القرن الثالث نبراسًا استضاءت به شعوبُ العالم القديم. لا يستطيع أن ينكر ذلك إلا منكر لعقله، منكر لشمس النهار الصحو، منكر لتاريخ الإنسان وتطوره الحضاري"[1] ، و ها هي اليوم تواجه محاولات للتغييب عن ساحة الثقافة و الفكر و الإعلام ، فما هي الجذور التاريخية هذه المحاولات ؟ و ما علاقتها بالاستشراق و المستشرقين ؟ و هل أسهم المستشرقون في إنصاف اللغة العربية الفصحى دراسةً و تأليفا ؟ أم أن دراستهم للغة العربية كانت عبارة عن آراء مجحفة تستهدف محاربة كيانها ووجودها ؟

أسباب اختيار موضوع التغييب عن ساحة الثقافة و الفكر و الإعلام :

استكمالا لسلسلة التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى نعالج تحدي مواجهة اللغة العربية الفصحى للازدواجية الثنائية اللغوية، وكيف أسهم المستشرقون في صنع هذا التحدي ؟ وما هي جوانب الإنصاف في الدراسات الاستشراقية ذات الصلة بالتراث الخاص باللغة العربية الفصحى ؟ وما هي جوانب الإجحاف فيها ؟ و كيف يمكن الرد على أهم التأثيرات السلبية للدراسات الاستشراقية ؟ وما هو موقفنا من الدراسات الاستشراقية المنصفة ؟

ولقد أشار كثير من الباحثين إلى تلك التحديات و ضرورة مواجهتها و منهم على سبيل المثال الباحث كمال بشر على حد قوله : "لقد راعنا و حرَّك وجداننا ما آلت إليه لغتنا ، و ما أصابها من هزة تهددها بالانهيار و التمزق ، أو إزاحتها عن مملكتها ، و إحلال أنماط أخرى من الكلام محلًها ، تعتلي عرشها في صلف و تبجح ، أو يُدفع بها دفعا إلى هذا العرش ، بأيد غير واعية وسط جلجلة أصوات نافرة ، زاعقة بأحقية هذه الأنماط من الكلام لاعتلاء هذا العرش و السيطرة على مقدرات الجماهير ....هذه العاميات و الرطانات تطير في الجو العربي و تملؤه بغبار المتنافرات النواشز من صور الكلام ، و تحاول تعتيم المساحة الضيقة الصافية التي ما (زالت عربية العرب) . "[2]

أهمية البحث : تكمن أهمية البحث في النقاط التالية :

- ✓ الدعوة إلى نقد نكتبه بأقلامنا و رؤانا حول واقع اللغة العربية ، انطلاقا من الفضاءات المتألقة في تراثنا ، دون الاستسلام لنقد استشراقي جاهز ، يشكل لنا رؤى لا تنبع من حاجاتنا الثقافية و المجتمعية . وبعيدا عن الانبهار بمنجزات الآخر و اتخاذها مرتكزات ، و لاسيما و نحن نعيش أزمة استلاب يفرضها الآخر بمصطلحات جديدة .

✓ إعادة قراءة المنتج الاستشراقي الذي غَزا الدراسات اللغوية ، قراءة متوازنة فاحصة ، بعيدة عن التأثر و الانبهار ، و بعيدا عن الانغلاق و الاستهجان من أجل التقاط ما يتلاءم و هويتنا الثقافية ، و ما تصلح آلياته لإثراء معارفنا ، و الكشف عن أنساق تراثنا و جمالياته .

✓ كما أن تحدِّيات العصر تدعونا لاتخاذ مواقف نقدية جادة وواضحة من المناهج الاستشراقية مرتكزة على أسس معرفية ، خصوصا و أن تلك المناهج التي ظلت تفد من أجهزة الآخر بأجهزتها المصطلحية ، بقي بعض نقادنا في الساحة الثقافية يعيدون انتاجها ، و يجعلونها مجالا للتطبيق .

مناهج البحث : تطلب البحث استخدام المناهج التالية بدرجات متفاوتة حسب طبيعة كل مبحث ؛ اعتمدت أولا على المنهج التاريخي ، فالمنهج التحليلي ، ثم المنهج المقارن و الوصفي .

➢ تمهيد موجز حول مدلول الاستشراق :

قبل المضي قدما في تناول الموضوع لابد لنا من إضاءة مركزة و موجزة حول مفهوم الاستشراق ، حتى نتمكن من ربط التأثيرات الاستشراقية في اللغة العربية الفصحى.

1_ ماهية الاستشراق : أ _ الجانب اللغوي : تدل كلمة شرق(ORIENT)في المعاجم اللغوية الأوروبية (و منها الفرنسية والإنجليزية) على منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية ، [3] وفي اللاتينية تعني كلمة(Orient): يتعلم أو يبحث عن شيء ما ، وبالفرنسية تعنى كلمة(Orienter)وجّه أو هدى أو أرشد ، وبالإنجليزية(Orientation), و(orientate)تعني" توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي.[4]

ب _ الجانب الاصطلاحي :يرى الدكتور شكري النجار بأن الاستشراق يؤخَذ عادةً بعدّة معان متداخلة و مختلفة، ولعلّ أهم معنًى للكلمة هو المعنى الأكاديمي؛ إذ تطلق كلمة «المستشرق» _ بشيء من التجاوز_ على كل من يتخصص في أحد الفروع المتصلة بالشرق؛ من قريب او بعيد... وثمّة مفهوم آخر للاستشراق وهو اعتبار الاستشراق أسلوباً للتفكير يرتكز على التمييز الإنساني والمعرفي بين الشرق والغرب. [5]

وكذلك يتناول الدكتور إبراهيم علي النملة تعريف «الاستشراق» بقوله: "وإن كان لابدّ من تعريف «الاستشراق»، فأقول: إن الاستشراق في الجانب الذي يخدم البحوث العربية والإسلامية، هو اشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين، بغضّ النظر عن وجهة المشتغل الجغرافية، وانتماءاته الدينية والثقافية والفكرية. " [6]

ويقول الدكتور إدوارد سعيد حول تعريف الاستشراق والمستشرق:"إن أسهل طريق لتعريف الاستشراق هو نوع من التبيين الأكاديمي لهذا الاصطلاح. وفي الحقيقة إن هذا المصطلح يستعمل في الجامعات والأوساط الأكاديمية لمن يدرّس مواضيع الشرق، أو يبحث حول هذا الموضوع؛ سواء كان متخصصاً في علم معرفة الإنسان، أو في علم الاجتماع، أو مؤرخاً، أو متبحراً في علم اللغة بمعناه العام أو الخاص. فهو مستشرق، ويطلق على عمله في هذا المجال «الاستشراق» [7] ."

و في المقابل يقول المستشرق آربري Arberry في بحث له في هذا الموضوع:" والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638(أحد أعضاء الكنيسة الشرقية أو اليونانية) وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعنى ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية . وبيرون في تعليقاته على Childe Harold's Pilgrimage يتحدث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراق عميق."[8]

ومن خلال التعريفات السابقة نرى بأن المدلول الاصطلاحي للاستشراق يؤكد على دراسة كل ما يصدر عن غير المسلمين من دراسات علمية ، و على رأسها مفتاح تلك العلوم ألا و هي اللغة العربية الفصحى ، و هذا ما سنكشفه من خلال صلب البحث .

➢ المبحث الأول : عناية المستشرقين بدراسة اللغة العربية :

اعتنى المستشرقون باللغة العربية الفصحى عناية بالغة ، و هذه العناية موغلة في القدم ؛ فلقد (أثبت التاريخ أن الغرب نهل من معين اللغة العربية الفصحى وتزود من تراثها ، وأن إتقان العربيَّة كان شرطًا حاسما لمن أراد أن يدرس الحضارة ويتثقف بالعلم والمعرفة، وقد لمعت أسماءُ عدّة لعلماء غربيين برعوا في اللغة العربية من أمثال (روجر بيكون)، ومن الطرفة بمكان أن طلابه في الجامعات الأوروبية لايقلون إتقانًا للعربية منه حتى قيل عنه إنَّ تلاميذه كانوا يتهكمونه أحيانًا إذا أخطأ في ترجمة بعض النصوص العربية إلى اللاتينية . [9]

وذُكِرَ أن (ألفارو) وهو أحد أساقفة قرطبة كتب رسالة إلى صديق له عام (854 م) جاء فيها قوله: (من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا.. على دراسة الكتاب المقدس أو يرجع إلى كتاب أيِّ عالم من علمائنا، ممن كتبوا باللاَّتينية ؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرسل ؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هاموا حبًّا باللغة العربية يبحثون عن كتبها ويقتنونها، ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويقولون فيها الشعر في رقة وأناقة، يا للحزن ! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولاتينيتهم، وينسون لغتهم نفسها...) [10] وإذا كان النصارى قد نجحوا في إخراج المسلمين من (الأندلس) ومن غيرها، وأفلت شمس الحضارة الإسلاميَّة في الغرب، فقد استمر (الموريسكيون) يستخدمون الحروف العربيَّة ويكتبون بها أدبهم وهو ما عرف في أوساط المستشرقين باسم (AL-Jamiado) حتى التزمت بعد ذلك الحروف اللاَّتينيَّة . [11] أمَّا بلاد البلقان فبقيت الثقافة الإسلاميَّة والأبجديَّة العربية حتى منتصف القرن العشرين تقاوم صنوفًا من ألوان المصادرة والحرب على كل ما له صلة بالعربية والإسلام . [12]

و لقدكانت للمستشرقين إنجازات كثيرة ومتنوعة في اللغة العربية ، ونراها في بعض المجالات أكثر دقَّةً ونوعيةً مما أنجزه العرب أنفسهم، وصارت هذه الأعمال كمراجع ومصادر أصلية للغة العربية. و هذا في:(كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد، فبحثوا في فقهها، وأصواتها، ولهجاتها، ونحوها، وصرفها، وأصولها، ومعاجمها، وأطوارها، وغزارتها، ومادتها، وفلسفتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى، وخاصة اللغات الساميَّة، ومميزاتها وعناصرها، وتاريخها، ونقوشها، وكل ما أنتجته هذه اللغة) . [13]

➢ (ويهان فاك (Y. Fuck) [14]: العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب)... اهتم المؤلف في هذا الكتاب بدراسة العلاقة بين الإسلام واللغة العربية، ودرس خصائصها وارتباطها بالقرآن الكريم، وتطورها بعد وفاة الرسول ﷺ، وحياتها في العهد الأموي، وأطوارها في العهد العباسي... وسيطرتها على العالم الأدبي والعلمي والفكري، ولهجاتها وفصاحتها، وظهور اللغات الدارجة، والعلاقات اللغويَّة في المحيط الإسلامي...، وبداية مرحلتها الحديثة بحملة نابليون، ومشكلة اللحن وأطوارها، وغيرها من المسائل) [15]

➢ (إسرائيل ولفنسون (Y. Welfensohn) [16] تاريخ اللغات السامية... بحث في اللغة العربية ومنزلتها بين اللغات السامية الأخرى، ثُمَّ في اللهجات العربية البائدة واللهجات العربية الباقية، مشيرًا إلى المنهج العلمي لعلماء الاستشراق في دراستهم للغة العربية وما يتعلق بها)

- هنري فليش (P.H.Fleiseh) [17]: العربيَّة الفصحى... درس اللغة العربية بإسهاب... من جوانبها الصوتيَّة والصرفيَّة والاشتقاقيَّة)

ومن المستشرقين من توافر على (المعجم العربي كشفًا وتحقيقًا ونشراً، ودراسة) ومنهم الآتية أسماؤهم: إدوارد وليام لين (Edward William Line) [18]: له مد القاموس، وهو معجم عربي إنجليزي... وقد ضمن مقدمته وصفًا لعدد غير قليل من المعاجم العربية القديمة جاء في الإيجاز والإفادة) .

- (وليام رايت (William Wright) [19] : له جرزة الحاطب وتحفة الطالب، وهو اسم مجموعة تحتوي على: صفة السرج واللجام لابن دريد، وصفة السحاب والغيث لابن دريد أيضًا، وتلقيب القوافي لابن كيسان).
- (أرثر ج. أربري(Arthur John Arberry):نشر تمام الفصيح لابن فارس)[20]

وكل هؤلاء المستشرقين من الإنجليز وغيرهم كثير من مختلف الجنسيات الأوروبية والأمريكية والروسية بذلوا جهودًا كبيرة في خدمة المعجم العربي في مجال التحقيق والترجمة والنشر [21]. ومن المستشرقين من شارك في المجمعات اللغوية العربية في كل من مصر ودمشق وبغداد وغيرها وأسهم بجهوده في خدمة تلك المجامع [22] و كذلك أسهم المستشـــرقون الألمـــان بجهود جمة في التأثير على كثير من الدراسات العربية الإسلامية بصفة عامة و الدراسات اللغوية بصفة خاصة ، فالنظرة الفاحصة في إحدى البيبليوغرافيات ، تظهر أن تأليفهم هو خمس تأليف نظرائهم الأوربيين مجتمعين ، و تحقيقاتهم تبلـــغ الثلث . [23] و يمكن إبراز تأثيرهم على النحو التالي :

الأول : أثر الاستشراق الألماني في اتجاهات الدراسة اللغوية : [24]

و يتجلى ذلك في اتجاهين : أحدهما اتجاه تاريخي ؛وفتح هذا الباب من التأليف كتاب العربية دراسات في اللغة و اللهجات و الأساليب ليوهان فك ؛ و من أهم الدراسات المتأثرة به مستقبل اللغة العربية المشتركة للدكتور إبراهيم أنيس 1960 ،و دلالة الألفاظ العربية للدكتور مراد كامل 1963 ، هذا فضلا عما ألمع إليه من توجهات لدراسة التراث العربي المتمثل بكتب لحن العامة . [25]

و الاتجاه الآخر هو اتجاه مقارن ؛ و تأثر بعض المحدثين العرب في هذا الاتجاه بكتاب فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان ، و منهم رمضان عبد التواب في كتابيه المدخل إلى علم اللغة و التطور اللغوي ؛ فقد تأثر بمصطلحات بروكلمان الصرفية و رددها و استعملها كثيرا و أخذ أمثلة بروكلمان و بعض تعريفاته و تقسيماته .خالد إسماعيل علي في كتابـــه (فقـــه اللغات العاربة المقارن).[26]

الثاني : أثره في تجديد الدراسات اللغوية : و هذا من خلال أنموذجين هما

الأول : ما فتحته محاضرات برجشتراسر [27] (التطور النحوي) من باب التجديد في دراسة العربيـــة ، و الإفـــادة مـــن المنهجين التاريخي و المقارن ، و أبرز تأثر بها كان إبراهيم مصطفى في كتابه (إحياء النحو 1937 م) و عبـــد المجيـــد عابدين في كتابه (المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية 1951 م) .أما النموذج الآخر : لما أشار المستشرقان الألمانيان برجشتراسر ، و شادة ، إلى التطور الصوتي الذي لحق بعض الأصوات العربية ، فقد فتحـــا بـــاب الاهتمام بالوصف الجديد لمخارج الأصوات العربية و صفاتها ، سابقين أول محاولة حديثة قام بها إبراهيم أنيس في كتابـــه الأصوات اللغوية . و لا يقتصر أثر الاستشراق الألماني على هذين النموذجين فحسب ، بل بعث في مصر تيارا لغويا ممثلا فيما يلي :

الأول : يمثله خريجو جامعات لندن و لاسيما تلامذة فيرث ، و أبرز من تأثر في هذا المجال تمام حسان و محمود السعران ، و كمال بشر و عبد الرحمان أيوب و اهتم التيار بمنهج وصفي ، فنشروا توصيف اللغة على وفقه ، و ترجموا مؤلفات مهمة في علم اللغة الوصفي ، و من أمثلة ذلك ما كتبه تمام حسان _ خريج جامعة لندن _ الذي خص المنهج الوصفي . بكتابين نظريين [28] و الآخر تطبيقي [29].

الثاني : يمثله خريجو جامعات ألمانيا ، و منهم عبد الحليم النجار ، و مراد كامل ، و السيد يعقوب بكر ، و رمضان عبد التواب ، و محمود فهمي حجازي ، و اهتم هذا التيار بالتأليف على وفق الاستشراق الألماني ، فنشروا المنهج التاريخي المقارن أكثر مما سواهما ، و اهتموا أيضا بالتراث تحقيقا و نشرا ، و بترجمة أهم المستشرقين الألمان ، كتابه الموسوم ب " المدخل إلى علم اللغة " فلقد تكلم على المنهج المقارن [30] .

- المبحث الثاني : الشبهات الاستشراقية حول اللغة العربية الفصحى و مناقشتها :

على الرغم من جِدِّيَة بعض الدِّراسات والبحوث والأعمال التي تصدّى لها أعداد كبيرة من المستشرقين، ومهما يكن لها من إيجابيات فإنَّه قد شاع من بينها شبهات أحاقت باللغة العربية ، خاصة مع تضافر تلك الدراسات الاستشراقية مع الخطط الاستعمارية والتنصيريَّة والتغريبيَّة [31] التي جندت أفرادًا من المستشرقين لإشاعة تلك الشبهات على أنَّها مِمَّا يعوق تطور اللغة العربية، وبالتالي فإنَّها عوائق في مسيرة العرب الحضاريَّة؛ و اتخذ بعض المستشرقين المجمعات اللغوية مطية لتسريب مطاعنه في اللغة العربية الفصحى من خلال بحوثه و دراساته التي يسهم بها في دراسات تلك المجمعات . فما هي أهم الشبهات و التأثيرات السلبية و المجحفة التي عمل المستشرقون على إثارتها حول اللغة العربية الفصحى ؟ و كيف يمكن الرد عليها ؟

1_ ازدواجية اللغة العربية (Diglossia):

ظهر مصطلح Diglossia أول ما ظهر عند الفرنسيين على يد العالم وليم مارسيه الذي نحت هذا الاصطلاح Diglossia عام 1930 م ، و عرَّفه بقوله :" هو التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ، و لغة عامية شائعة .و في عام 1959 م نقل شارل فرغسون مصطلح Diglossia إلى الإنجليزية في مقال نشره في مجلة Word، ليدل على شكلين مختلفين من الاستخدام للسان نفسه ، أي أنه تنافس بين تنوعين للسان واحد . [32] و نقصد هنا وجود العامية بجانب الفصحى ، فالفصحى هي اللغة التي تستخدم في تدوين الشعر و النثر و الإنتاج العلمي عامة ، أما العامية فهي تستخدم في الشؤون العادية و يجرى بها الحديث اليومي ، و هي تلقائية متغيرة ، تتغير تبعا لتغير الأجيال ، و تغير الظروف المحيطة بهم . و قد اعتبرت هذه الظاهرة اللغوية في نظر بعض المستشرقين مشكلة من المشكلات التي تعترض اللغة العربية ، يقول المستشرق فلهلم شبيتا(W Spitta) [33] " فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث و لغة الكتابة ، ففي مثل تلك الظروف لا يمكن مطلقا التفكير في ثقافة شعبية . " [34]

و يرى وليم ولكوكس (William Willcocks)[35] : أن الازدواجية هي السبب الرئيس في تأخر الطلبة حيث يروي : " و كنت أجد بين الطلبة من يعدون حقا الأذكياء و لكنهم كانوا يسيرون في دروسهم ببلادة لأنهم كانوا يقرأونها باللغة الفصحى المصطنعة بدل أن يقرأوها باللغة المصرية الحية ، و كانوا لا يجدون أدنى مشقة في فهم الرياضة النظرية فإذا طولبوا بالتطبيق عادت إليهم روح السخرة الذهنية و كانوا ذووا الذكاء ينتهون في آخر الأمر إلى لاشيء ...و أقول هذا عن أصدقاء و معارف كان يمكنهم أن يتبوأوا مركزهم بين مهندسي الأقطار الأخرى لولا أنهم كانوا يفكرون بلغة و يكتبون

بأخرى ."[36] و لم يكن مقصود أولئك المستشرقين من إظهار الهوة بين الفصحى و العامية سوى فرض العامية و تغييب الفصحى عن ساحة الثقافة و الفكر ، فهاهو وليم ولكوكس (William Willcocks) يدعو في رسالته " سوريا و شمال إفريقيا و مالطة تتكلم البونية لا العربية " إلى العامِّيَة ، و ستكون النتيجة على حد تعبيره " بزوغ فجر جديد في حياة المصريين ، و تخلص الطبقات المثقفة من السخرة العقلية ؟ "[37]

و يشاطره الرأي المستشرق الإنجليزي سلدون ولمور (Seldon Willmore) الرأي بأن حل مشكلة الازدواجية بإحلال العامية في جميع مجالات الحياة لتتحد اللغة ، و يقول في هذا الصدد : " و من الحكمة أن ندع جانبا كل حكم خاطئ وُجِّهَ إلى العَامِّيَة ، و نَقْبَلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية ، و هناك سبب يدعو إلى الخوف هو أنه إذا لم يحدث ذلك فإن لغة الحديث و لغة الأدب ستنقرضان ، و ستحل محلها لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوربية. " [38]

وللمثال على ذلك أيضا نستشهد بما قاله (دوفرين) في تقرير وضعه عام (1882 م): (إنَّ أمل التقدم ضعيف في مصر طالما أن العامَّة تتعلم الفصحى العربية) [39]، ولتحقيق تلك السياسات الرامية (لزعزعة مكانة اللغة العربية ومكانة موروثها الذي يحتفظ بمقومات المجد الأصيل، ويدخر للأجيال صورًا مشرقة من تاريخهم التي يطمع الغربيون في طمسها، وكان من المستحيل التفكير في إحلال أي لغة أجنبيَّة أو تشجيعها ولكنه من المعقول في رأيهم التفكير في اللغات العاميَّة العربية وإعطائها فرصة للظهور على مسرح الحياة الثقافية والفكرية، ومن هذا الأمل في نفوسهم بدأت انطلاقة العاميَّة الأولى)[40] ؛ لذلك فُتحَتْ المدارس المتخصصة المتشعبة عن الدراسات الاستشراقية في أكثر من بلد غربي لدراسة العاميات الدارجة في شعوب العالم الإسلامي بعامة والبلاد العربية بخاصة[41]، (وركزوا برامج تلك المدارس على التفقه في العاميات خاصة واستمروا على هذا الحال حتَّى أصلوا دراستها في نفوس عدد كبير من العرب الذين أخذوا مبدأ الاهتمام بالعاميات على أنَّه ثقافات إقليمية وبدأوا بنشرها في بلادهم على الطريقة والمنهج الذي سارت عليه مدارس الاستشراق سواء بسواء) [42]كما أن الدعوة إلى العامية تأثر بها كثير تولاها أحمد لطفي السيد ، و أشار إلى ذلك الأستاذ محمود شاكر في كتابه أباطيل و أسمار ، و أيضا تتضح الدعوة إلى العامية و تاريخها في كتاب " تاريخ الدعوة إلى العامية و آثارها في مصر." للدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، و هو الكتاب الذي قال عنه الأستاذ محمود شاكر : " لو كان لي من الأمر شيء لأمرت أن يطبع الكتاب ليكون في يد كل شاب و شابة . " [43] ويقول الأستاذ رمضان عبد التواب " يسود بين جمهرة المثقفين العرب شعور مدمر بأن لغتنا الجميلة العربية الفصحى ، لغة معقدة القواعد ، صعبة التعليم ، كثيرة الشذوذ في مسائلها و قضاياها ، بحيث تجعل من تعلمها عبئا ثقيلا على أهلها . " و لقد انتهز المغرضون هذه الفرصة ، و أخذوا يصيدون في الماء العكر ، و يدعون إلى استخدام العامية ، و هجر الفصحى ، و خلطها بالعامية . " [44]

إن دعوى تفعيل العامية و إحلالها محل اللغة العربية الفصحى هي دعوى متهافتة لا تصمد أمام النقد ، لأنها لا تعتبر قَسِيمًا لِلُّغَةِ العربية الفصحى ، و في هذا المقام نستشهد بالدكتور إبراهيم السامرائي الذي يرى بأنه ليس للعامية مكاناً تزاحم فيه الفصحى وقد صرّح بذلك قائلاً: ((ومن الخطأ أن نعقد مقابلة بين الفصحى والعامية، ذلك أن العامية لا يمكن أن تكون قسيماً لغويّاً للفصحى)) [45]

2ـ قصور اللغة العربية عن مواكبة التطور الحضاري وعجزها العلمي : قام المستشرقون بإحداث شبهة جديدة تصب في خانة تشجيع استخدام اللغة الأجنبية و تغييب اللغة العربية الفصحى ؛ و هذا تحت غطاء قصور اللغة العربية الفصحى على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة ،فما هي أبرز مواقف المستشرقين من هذا النقطة ؟ وما هي أهم الردود عليها ؟

يعتبر هاملتون جب (Sir Hamilton Jibb) [46] من أهم المستشرقين الذي نشروا هذه الشبهة حيث يقول : " فقد كان الأسلوب الأدبي القديم و هو من صنع قلة من الخاصة مقيدا متكلفا يكتنفه الغموض بحيث غدا غير صالح للحاجات و التعابير الحديثة . " [47] و يؤيده جورج أنطونيوس (George Antonius)[48] حيث يقول : " إن انتشار التعليم هذا الانتشار الخاطف استلزم الشروع فورا بتعليم العلوم الحديثة و مصطلحاتها الفنية ــ الجديدة على العرب ــ فكان ذلك عبئا ثقيلا على اللغة العربية و صارت ترجمة الكتب العلمية عملا تزداد صعوبته مع الزمن ، و مع أن اللغة العربية لغة غنية مرنة غير أنها لم تتمكن لتستطيع أن تستجيب لهذا الطلب المفاجئ استجابة كافية فتقدم من المرادفات ما يقابل الألفاظ و العبارات الجديدة . " [49] و من الآراء المشابهة لآراء المستشرقين آراء أنيس فريحة حيث يقول : " إن معظم هذه التعابير الجديدة و المصطلحات المحددة معنى و استعمالا لم تك يوما من المعجم العربي ، و لم تك من القضايا العلمية التي عني بها الفكر العربي لأن الفكر العربي لأسباب وقع في التاريخ عند نقطة معينة فمن الطبيعي أن نجد العربية نفسها الآن عاجزة عن اللحاق بالعلوم و الفنون ....و كل من يعتقد أن العربية بحالتها الحاضرة و بالنسبة إلى التزمت بعض الناطقين بها تستطيع بيسر أن تعبر عن مختلف العلوم و الفنون واهم . " [50]

و يرى سلامة موسى أن اللغة العربية لغة جامدة غير متطورة و أنها لغة المجتمع العربي القديم ، و هي لا تستطيع مواكبة العصر ، فيقول :" إن الكلمات القديمة التي ورثناها تحمل إلينا تقاليد هي رواسب الثقافة القديمة التي كثيرا ما تضرنا في مجتمعنا العصري ، و إن الكلمة الفصحى ليست جوية أي أنها لا تنقل إلينا جو الحديث ، و أن لغتنا خرساء لأنا جعلناها مثل لغة الكهان جامدة لا تتطور ، و أن الكلمات الموروثة كانت تعبر عن حاجات المجتمع العربي ، و هذا المجتمع كان أوتوقراطيا ارستقراطيا ، فيجب أن نجعل لغتنا ديموقراطية إذا أردنا أن يكون مجتمعنا ديموقراطيا ، و أن الكاتب الذي يعمد إلى إحياء الكلمات القديمة (الأحافير اللغوية) باستخدامها و بعث الحياة فيها فإنه لن يصل من هذا المجهود إلا تكليف المجتمع عبئا لا ينتفع به . " [51]

و يمكن الرد على هذه الشبهة بأن الهدف من إثارتها هو التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ؛ لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم و سلطانهم الأدبي علينا ، و تشكيكهم في غنى الأدب العربي و إظهاره مجدبا فقيرا لنتجه إلى آدابهم ، و ذلك هو الاستعمار الأدبي الذي يبغونه مع الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه . [52] كما أن رمي اللغة العربية بالقصور وعدم الكفاية العلميَّة تهمة لاتتفق مع حقيقة اللغة العربية؛ لأنَّها لغة حيَّة عمليَّة لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة[53]، يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا الجانب في اللغة العربية: (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظًا، ولانعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبيٍّ)[54].

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة عالمية اللغة العربية وأدرجتها في اللغات المعتمدة (كلغة سادسة لشعوب الأرض كافة، يتكلمها ما يزيد على (180) مليون من العرب، ويقدسها المسلمون؛ لأنَّهَا لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ)[55] ومِمَّا جاء في قرار الجمعيَّة العامَّة للأمم المتحدة الذي اتخذته بالإجماع في دورتها الثامنة والعشرين لسنة (1973 م): (إنَّ اللغة العربية أدت دورًا مهمًّا في الحفاظ على حضارة الإنسان وتراثه الثقافي، وفي العمل على نشرهما)[56].

ولئن خرجت اللغة العربية من صراعها مع الاستشراق والاستعمار أو كادت أن تخرج بهذه النتيجة فإنها في حقيقة الأمر اللغة الأولى ويكفيها شرفًا أنَّ الله اختارها لكلامه المجيد، وما أصدق ما قاله (حافظ إبراهيم) في رده على شبهات المستشرقين وتلاميذهم على لسان اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظًا وغايةً وما ضقتُ عن آيٍ به وعظاتِ

فكيف أضيقُ اليـــــــوم عن وصف آلةٍ وتنسيق أسْمَاء لمخترعـــــاتِ
أنا البحرُ فـــــي أحشـــــائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغُوَّاصَ عـــن صدفاتي ؟[57]

أمَّا الاعتراف للغة العربيَّة بأنها حافظت على تراث الإنسان وعملت على نشره فإنَّ ذلك جزءٌ من الحقيقة، وجزؤها الآخر هو ما أسهمت به اللغة العربيَّة من صنع الحضارة الحديثة في مختلف مجالاتها، وما أضافت من ابتكارات علميَّة ومنهجيَّـــة إضافة لتلك الوحدة السلميَّة الفذَّة بين شعوب المعمورة التي عبَّرَت عنها المستشرقة (زيغريد هونكة)[58] بقولها: (إنَّ كـــل الشعوب التي حكمها العرب اتَّحَدَت بفضل اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، بتأثير قوة الشخصية العربيَّة من ناحية، وتأثير الروح الإسلاميَّة الفذَّة من ناحية أخرى، في وحدة ثقافية ذات تماسك عظيم)[59].

وأمَّا تخلف الأُمَّة الإسلاميَّة عن ركب الأمم الأخرى في ميادين الصناعة والعلوم فليس مرجعه إلى قصور في اللغة العربيَّة وعدم كفايتها العلميَّة كما يدعي خصومها من المستشرقين وغيرهم؛ بل يرجع ذلك لعوامل كثيرة... منها:

أولاً: وهن الأُمَّة... كما لحظ ذلك ابن حزم بقوله: (إنَّ اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم، فإنَّما يفيد لغة الأُمَّة وعلومها وأخبارها قـــوة دولتـــهم ونشاط أهلها وفراغهم، وأمَّا من تلفت دولتهم وغلب عليها عدوها واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعـــدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر، ورُبَّمَا كان ذلك سببًا لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، وبيود علومهم، وهذا موجود بالمشاهدة معروف بالعقل ضرورة)[60].

وقال أحد المفكرين المعاصرين في هذا المعنى: (الأُمَّة العزيزة تعتزُّ بلغتها وتحرص على استقلالها كما تحرص على استقلالها العسكري والاقتصادي سواء، وتحترم قوانينها اللغويَّة وتتمسك بها)[61].

ثانيًا: ما قام به الاستعمار في سبيل الحيلولة دون ممارسة اللغة العربيَّة وتغليب لغة المحتل عليها وتشجيع اللهجات العاميَّة، حيث رسم دهاقنة الاستعمار من أمثال (دنلوب)[62] سياسة التعليم على أساس الحيلولة بين اللغة العربيَّة وبين أن تصـــبح الأداة الثقافية لأبناء الأُمَّة الإسلاميَّة ولغة العلوم والتقنية؛ (فحلت مصطلحات أجنبية عن دينها ولغتها في جوانب: الحكم، والقضاء، والتعليم، ولغة الحياة العامَّة والسلوك، وغيرها متابعة بذلك سنّة الإبعاد عن كتب الشريعة وفقهها بتحنيط لغتها. وبذلك يستحكم الانفصام بين المسلم وتراثه، ليكون رسمًا لا معنى له، وصورة لا حقيقة له)[63].

ولعل من الشواهد المعاصرة على صلاحيَّة اللغة العربيَّة لتدريس كافة العلوم؛ ما يحدث في الجامعات والمعاهد التي اتخذها أداةً للعلم والمعرفة وأفادت منها، فعلى سبيل المثال مضى على تأسيس كلية الطب في دمشق ما يزيد على سبعين عامـــاً وأساتذتها يدرسون الطب باللغة العربيَّة[64]، وقد (أغنوا خزانة الكتب العربيَّة بما لايقل عن ثمانين مجلداً في فروع الطـــب المختلفة[65].

كما أن كثيرًا من الأساتذة الذين جربوا التدريس بالعربيَّة لا في دمشق وحدها وإنَّما في القاهرة والرياض وبغداد لم يجدوا عائقًا يذكر من اللغة ذاتها، وإذا كانوا قد اصطدموا بصعوبات فهي خارج الإطار اللغوي[66]، بل (استطاع عـــدد مـــن المخلصين في هذا العصر أن يثبتوا قدرة اللغة العربيَّة على استيعاب العلوم، فوضعوا عددًا من الكتب العلميَّة تناولت شتى الموضوعات، وقدمت أمثلة لقدرة اللغة العربيَّة على التعبير عن دقائق العلوم)[67].

ونؤكد في هذا الصدد أنه زادت العناية بالمصطلحات بعد أن تشعبت العلوم وكثرت الفنون و كان لابد للعرب أن يضعوا لما يستجد مصطلحات مستنجدين بوسائل أهمها الوضع ، والقياس ، والاشتقاق ، والترجمة ،و المجاز ، والتعريب ، التوليد ، والنحت . وكانت هذه الوسائل سببا في اتساع العربية و استيعابها العلوم و الآداب[68] ، ولقد أولت المجـــامع اللغويـــة

اهتماما كبيرا بها ، فعلى سبيل المثال المجمع العلمي العراقي الذي تأسس سنة1367 هـ الموافق ل: 1947 م أولى عناية كبيرة و بذل جهودا مضنية في إنجاز عدد كبير منها نشر في مجلة أو كراسات . و كانت الفقرة الثانية من نظامه تنص على " العناية بسلامة اللغة العربية و العمل على جعلها وافية بمطاليب العلوم و الفنون و شؤون الحياة الحاضرة ." و كان ذلك صوى للمجمع في مسيرته الطويلة فألف عام 1948 م لجانا تضع مصطلحات لما يرد في الكتب التي يقرر ترجمتها أو تدقيق المصطلحات و إقرارها .[69]

و في هذا الصدد نشر المجمع في المجلد الثاني من مجلته سنة 1372 ه الموافق ل: 1952 م أول معجم للمصطلحات العلمية و هي تتضمن 94 مصطلحا ، و نشر في مجلته الجديدة في المجلد الثالث 156 مصطلحا ، و الجزء الأول من المجلد الر ابع قائمة ضمت 265 مصطلح ، و الجزء الثاني منه 336 مصطلحا ، و نشر مصطلحات صناعة النفط و هي 138 مصطلح ، و نشر مصطلحات في علوم الفضاء و هي 166 مصطلح ،و نشر مصطلحات علم التربية 296 مصطلح ، و نشر مصطلحات التربية البدنية في قائمة تبلغ 682 مصطلح ، و مصطلحات السكك الحديدية و هي 235 مصطلح[70]

و لقد اهتم العرب بالمصطلحات العلمية و كانت الحقيقة الشرعية أهم رافد لها ؛ فقد بذل جهابذة علماء اللغة العربية جهودا مضنية في سبيل تذليلها ، و ما أزف القرن الرابع الهجري على الانتهاء حتى استقرت كثير من المصطلحات العلمية ، و يتجسد ذلك في الكتاب الموسوعي الموسوم بمفاتيح العلوم للخوارزمي [71]، و يرجع السبب في التركيز على هذا الأنموذج حسب الباحث المحقق أحمد مطلوب اظهار طاقة اللغة العربية على استيعاب العلوم و مصطلحاتها و استغنائها عن اللفظ الدخيل إلا في الضرورة القصوى ، و إظهار قدرة المؤلفين و المترجمين و اللغويين على مواكبة الحركة العلمية ووضع المصطلحات العربية " [72] و يحتاج كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي إلى ضمه مع كتب التراث العلمي الأخرى ، و تجدي تبويب مادته ، فهو كتاب ــ على الرغم من وجازته ــ إلا أنه يصلح أن يكون معجما كبيرا للعلوم التي ذكرها الخوارزمي ، و يصلح كل باب من أبوابه أن يكون معجما مستقلا يتعرض لموضوع واحد ، تدرج فيه المصطلحات ، لأنها تتصل بالعلوم و لاسيما الطب و الرياضيات و الكيمياء ، و هي مما ازدهر في عصر الخوارزمي و مما يوليه العصر الحاضر أهمية كبرى لاتصاله بشؤون حياة الناس . [73]

3 ــ صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها :

يرى المستشرق فلهلم شبيتا(W. Spitta) أن الخط العربي هو السبب في تخلف اللغة العربية و يقول : " و طريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا. "و يوافقه الرأي المستشرق الإنجليزي سلدن ولمور (J.Seldon.Wellmore)الذي اقترح اتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية حيث يقول :" و إذا لم تتخذ طريقة مبسطة للكتابة فإن لغة الحديث و لغة الأدب ستنقرضان . " [74] وقد تأثر بهذا الرأي الاستشراقي عدد من المثقفين و المفكرين العرب من بينهم أنيس فريحة ، و سلامة موسى ، و عبد العزيز فهمي ، و في هذا الصدد يقول " فإن العربية شأنها في الكتابة شأن سائر اللغات السامية التي اختصرت في الكتابة على الحروف الصامتة مما يجعل صورة الكلمة هيكلا عظميا لا حياة له ، و هذا يجعل عملية القراءة أمرا عسيرا ، إذ تفرض هذه الطريقة في الكتابة على القارئ أن يفهم أولا ــ كما قال قاسم أمين ــ ثم أن يقرأ قراءة صحيحة . " [75]

و لكن صعوبة النطق وصعوبة الكتابة في اللغة العربيَّة شبهة فيها كثيرٌ من التعسف؛ لأنَّ قواعد النحو والصرف وطريقة كتابة الحرف العربي وضبطه بالشكل والإعجام من ناحية[76]، وتحقيقه في مجال الأداء الصوتي[77] من ناحية أخرى، خُدِمَ ذلك كله بعبقرية وبراعة أظهرت تميُّز اللغة العربيَّة على سائر اللغات، وحدَّدَت دلالة الألفاظ على المعاني بغاية الدقّة، (فقد

عكف علماء الأُمَّة على اللغة العربيَّة وعلومها، واستنبطوا قواعدها، ووضعوا أصول نحوها وصرفها حتى تمت الضوابط والمقاييس في غاية الوضوح والبيان مِمَّا جعلها لغةً علميَّة مكتسبة يسهل حذقها وتعلمها على أبناء اللغة العربيَّة الناشئين)[78]، (وعلى أبناء غير العربيَّة الذين دخلوا دين الإسلام أفواجًا، فانتشرت اللغة بينهم كما لم تنتشر لغة من قبل سرعة ويسرا. و لم يكن أبو الأسود الدؤلي، والخليل ابن أحمد، وسيبويه، والمبرد، وأبو علي بن فارس، والثعالبي، وابن سيده، والزبيدي... وغيرهم كثير علماء في اللغة يتشدقون في المجتمعات بعلمهم، أو سعيًا لرزق صغير أو طلب لمنصب... بل كان كل منهم يهب حياته في خدمة علم من علوم العربيَّة يتقرب به إلى الله عزوجل، وهذه غايتهم الأولى ! فدانت لهم العربيَّة وذلل لهم علمها)[79]. أما صعوبة التعلم وتدريب اللسان حتى يلين لقواعد اللغة وتصاريفها فإنَّ الصعوبة محدودة وليست عائقًا لمن أراد التعلم؛ ثُمَّ إنَّ الصعوبة أمرٌ نسبي يختلف من شخص لآخر وتحكمه ظروف عدّة منها ما يعود إلى المتعلم ذاته، ومنها ما يعود لغيره من معلم أو منهج تعليم[80].

4 _ صعوبة النحو العربي : يرى المستشرقون أن اللغة العربية الفصحى لغة صعبة و قواعدها معقدة يصعب على الطالب تحصيلها ، و من أولئك فلهلم شبيتا فيقول : " و كيف يمكن في فترة التعليم الابتدائي القصير أن يحصل المرء حتى على نصف معرفة بلغة صعبة جدا كاللغة العربية الفصحى."[81] و ممن تأثر بهذا الرأي الاستشراقي أنيس فريحة الذي يرى بأن وضع القواعد و الأحكام يقيد اللغو و يحد من نشاطها ، ..و يقف في مجراها الطبيعي و يسد عليها الطريق كما حدث للغة العربية الفصحى ...كما أن تقييد اللغة بأحكام مرهقة يوقف نموها ،... فتبقى حبيسة الكتب و المعاجم ، و لكن لغة الناس تسير سيرها غير عابئة بالأحكام و الشاهد على صحة هذا لغتنا العامية .[82] إلا أنه يمكن الرد على هذه الشبهة ؛ بأن قواعد النحو هي التي صانت اللغة من اللحن و في إلغاء هذه القواعد تضييع للغة العربية ، و في هذا الصدد يرى محمود تيمور : " و في معتقدي أنه لا سبيل لنا إلى التخلي عن النحو لأنه من مقومات اللغة و أصولها ، فإذا تخلينا عنه فقد هدمنا ركنا أساسيا ، تعود بعده اللغة العربية فوضى تحتاج إلى ضوابط تحل محله . "[83]

5 _ كثرة المفردات :

تتسم اللغة العربية بغزارة مفرداتها ، فهي تحتوي على جميع الأصول التي تحتوي عليها نظيراتها ي اللغات السامية أو على معظمها ، بل و تزيد عليها بأصول كثيرة [84] ؛ و من بين الشواهد على ذلك خصوبة الفصحى في ألفاظ الزمان البكرة ، الضحى ، الغدوة ، الظهيرة ، القائلة ، العصر ، الأصيل ، المغرب ، العشاء ، السحر ، الفجر ، الشروق ، و في المقابل لا يمكن أن نجد هذا التقسيم في اللغات الأخرى إلا عبر الاستعانة بالجمل و التراكيب . و قد عد المستشرق أرنست رنيان (E.Renan)[85]هذه الظاهرة من أسباب تخلف اللغة العربية فيقول : " إن الثراء الخارق للمألوف في المفردات العربية يجر على هذه اللغة من المتاعب أكثر مما يوفر لها من الفوائد فهو ينتهي إلى متاهات تجني كثيرا على الوضوح ، و إن الإنسان ليشعر بما يشبه الدوار عندما يرى كل تلك المعاني المختلفة و المتضاربة تقريبا تزدحم في المعاجم العربية حول كل لفظة . "[86] و تأسيسا على ما سبق بيانه ، نستطيع أن نقول أن المستشرقين الذين أحدثوا هذه التأثيرات ، و القائلين بهذه الشبهات ،حرصوا على أن تكون شبهاتهم هذه من المسلمات، ولذلك انتقلوا من مناقشتها في أساسها والبحث العلمي فيها إلى طرح أساليب ووسائل أخرى للخروج بالعربية من تلك الأزمات التي اختلقوها، ومجمل تلك الوسائل والأساليب يتمثل في كتابة اللغة العربية أو العاميَّة بالحرف اللاَّتيني ، و الدعوة إلى العاميَّة، وتقعيدها مع إهمال الإعراب ، بالاضافة إلى الدعوة إلى تطوير اللغة والتصرف فيها[87].

موقفنا من الدراسات الاستشراقية المنصفة للغة العربية الفصحى :

على الرغم من وجود بعض الدراسات الاستشراقية المجحفة في حق اللغة العربية الفصحى ، فإنه في المقابل يوجد عدد من الدراسات الجادة. و قد تعمقت هذه الدراسات في المجتمع الإسلامي تعمقا يلفت النظر ، و استحضرت لذلك البيانات الهائلة و المعلومات المهمة الكثيرة ، و ناقشتها مناقشة لا تخلو من فائدة جمة . و كان من ثمار ذلك الفهارس و تحقيق النصوص ، و العناية بها و مناقشتها ، و الدراسات الإحصائية و الاجتماعية و الميدانية ، و المقارنات البيانية ، فضلا عن الدراسات اللغوية التي كثيرا ما وصلت بالبحث العلمي إلى نتائج لم يتوصل إليها أبناء هذه اللغات .فالدراسات الاستشراقية مكتبة ثرية عريقة في مجال البحث العلمي ، لا يحسن بنا أن نتجاهلها . و قد أعطت هذه المدرسة أصحابها الفرصة لدراسة المشرق بغرض تحجيمه ، ثم بغرض إعادة تشكيله و إعادة تفصيله على النحو الذي يحقق ما يريدون . و مع ذلك كله فإن هذه المدرسة التي كثرت مؤسساتها في الغرب و أوشكت " أن تكون ممثلة في كل جامعة من الجامعات بكرسي يشغله أستاذ .." لم تحظ من جانبنا بعد بدراسات جادَّة . [88]

استنتاجات عامة :

امتازت اللغة العربية الفصحى بخصائص فريدة كتب عنها كثيرٌ من الباحثين في اللغات، وكان من أبرز ما استنتجوه الآتي: أنها اللغة (التامَّة الحروف، الكاملة الألفاظ، لم ينقص عنها شيء من الحروف فيشينها نقصانه، و لم يزد فيها شيءٌ فيعيبها زيادته، وإن كان لها فروع أخرى من الحروف فهي راجعة إلى الحروف الأصلية. وسائر اللغات فيها حروف مُوَلَّدة وينقصُ عنها حروف أصيلة)[89].

وقد تحدث العقاد عن هذه الخاصيَّة بقوله: (فإذا قيس اللسان العربي بمقاييس علم الألسنة، فليس في اللغات أوفى منه بشروط اللغة في ألفاظها وقواعدها)[90]. ثُمَّ يعلل ذلك بقوله: (ويحق لنا أن نعتبر أنها أوفى اللغات جميعًا بمقياس بسيط واضح لا خلاف عليه وهو مقياس جهاز النطق في الإنسان، فإنَّ اللغة العربية تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمه وأحسنه، ولاتهمل وظيفة واحدة من وظائفه، كما يحدث ذلك في أكثر الأبجديات اللغوية...)[91].واعترف بعض المستشرقين بهذه الخصيصة، إذ يقول (رينان): (من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة... وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى عند أُمَّة من الرُّحَّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها)[92].

ويستمر في وصف خصيصة عميقة تفردت بها لغة القرآن، فيقول: (ولم يعرف لها في كل أطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة، ولانكاد نعلم من شأنها إلاَّ فتوحاتها وانتصاراتها التي لاتبارى، ولانعرف شبيهًا بهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة)[93].

لاتقتصر اللغة العربية على كونها وسيلة تعبير كما تذهب إليه البحوث النظرية في الغرب التي لاتفرق بين لغة وأخرى؛ لأنها كلها وسائل تعبير وتواصل وتفاهم وإنَّما تتميَّز اللغة العربية بأنها ذات مضامين[94] علميَّة ومنهجيَّة وموضوعيَّة وحضارية، وتميَّزت في ذلك كله بالبيان والسهولة والوضوح على الرغم مِمَّا قد يبدو من صعوبة تعلمها في بادئ الأمر[95].

ويذكر الباحثون المتخصصون إنَّ واقعها (منحها نوعًا من التميُّز والتفرد إذ أكسبتها تجربتها الحضارية على مدى قرون ثروة هائلة من البنى. واحتبست تعابيرها في أرحامها قدرات خفيَّة على العطاء وعلى الإيحاء وعلى تنويع التعبير... كما أكسبها انتشارها الواسع في بقاع فسيحة من الأرض وتفاعلها مع جماعات لغويَّة كثيرة ألوانًا من الغنى، تأثرًا وتأثيرًا، فهي إذن ليست... اللغة الأوليَّة البدائية التي تحاول أن تصبو إلى مقاربة الحضارة أو ملاحقتها أو الاندماج فيها... وإنَّما هي اللغة ذات التجربة السابقة وما كان لظاهرة ما اجتماعية أو إنسانية أن تقوى على التخلي عن تجاربها السابقة، فهذه

التجارب جزءٌ منها)[96].

ومن أعظم تجاربها أنّها خالطت لغات كثر (فلم تفسد في ألفاظها ولا في اشتقاقاتها، ولا في تراكيبها وأساليبها، أو في بيانها الدقيق المشرق، و لم يتعد تأثيرها بها عددًا محدودًا من الألفاظ التي تعربت استجابة لمتطلبات تطور أنماط الحياة وتنظيمها وازدهار الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعقلية والعسكرية والعمرانية في ربوع بلاد المسلمين)[97].

وإذا كان من سنن الله في خلقه أن تتأثر اللغة سلبًا وإيجابًا بواقع الأُمَّة فتعز بعزها وتذل بذلها فإنَّ اللغة العربية خضعت لهذه السنة ردحًا من الزمن ولكن جذوتها لم تنطفئ، والسر في ذلك ارتباطها بالقرآن الكريم فحفظت بحفظه[98،99]. وخلاصة القول: إنَّ (اللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميَّزُون)[100]، واللغة العربيَّة شعار الأُمَّة الإسلاميَّة، وهي من أهم وسائل تميُّزها وهو ما أدركته الأُمَّة وسار تاريخها في ضوئه وبهدي منه.

و نستطيع أن نوضح صفوة النتائج المستخلصة من هذا البحث في النقاط التالية :

- إن حفظ الله سبحانه و تعالى للقرآن الكريم هو حفظ للسان العربي المبين ، و تشريف له .
- لقد برز من خلال ما تقدم من البحث تهافت دعاوى المستشرقين القائلين بعجز اللغة العربية الفصحى عن استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية ، كما اتضح ثراء اللغة العربية الفصحى بمصطلحات يجعلها ذات فعالية حضور في ساحة الفكر العلمي .
- إن اللغة العربية الفصحى ليست سبب تخلف المسلمين و إنما يرجع ذلك إلى سبب تاريخي يتعلق بحقبة الاستدمار الذي أتى على الأخضر و اليابس و استهدف مقدرات الأمة العربية الإسلامية .
- أثبت البحث أن اللغة العربية الفصحى تمتلك آليات مواجهة التحديات في جميع المستويات ، و منها آلية الاشتقاق و التوليد ...التي من خلالها تستطيع اللغة العربية الفصحى إثراء مصطلحاتها
- تبين من خلال البحث دور المجامع العلمية في مواجهة التحديات و تفنيد الشبهات الاستشراقية على اختلافاتها ، و تجسد ذلك من خلال انتاجها العلمي ، و التي تعتبر تواصلا للجهود المضنية التي بذلها أسلافنا من اللغويين .
- تبين لنا أن وجود العامية إلى جانب اللغة العربية الفصيحة هي ظاهرة تشترك فيها جميع اللغات و ليست حكرا على العربية ، و أن المستشرقين هم الذين أثاروا هذه النقطة و جعلوها معضلة تواجه اللغة العربية الفصحى ، و قاموا بإحداث بديل يتمثل في إحلال العامية محل اللغة العربية الفصحى ؛ هذه الأخيرة التي لا يمكن الاستغناء عنها في ساحة الثقافة و الفكر و الإعلام ، و لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحل محلها العامية .
- إن هدف المستشرقين من الدعوة إلى العامية هو تعميق الهوة بين أفراد الأمة العربية الإسلامية و زرع سياسة فرق تسد ، إحداثا للفرقة و تكريسا للخلاف اللغوي .
- إن الدعاوى التي تنادي بإبدال الخط العربي بالخط باللاتيني هي دعوة لقطع الصلة بمصادر التشريع الإسلامي .

و نستطيع القول في الأخير أنه على الرغم من التحديات التي تواجهها اللغة العربية الفصحى عبر القرون المتطاولة إلا أن بقيت ثابتة ثبات الجبال الراسيات ، لأن الله سبحانه و تعالى أنزل كتابه بها و تكفل بحفظه كما أن الله اجتباها لتكون لغة أهل الجنة ،و في ذلك حفظ لها ، و تدعيم و سند لها ، كما أنه يعد تشريف لها و رفع لمكانتها .

المراجع :

[1] ــ من كلمته التي ألقاها بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية. مجلة تراثيات، العدد الخامس ذو الحجة 1425- يناير 2005.

[2] ــ كمال بشر : اللغة العربية بين الوهم و سوء الفهم ، 1999 م ، دار غريب للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ص ص 04 ، 5 .

[3] ــ السيد محمد الشاهد. "الاستشراق ومنهجية النقد عند المسلمين المعاصرين" ، مجلة الاجتهاد. عدد 22، السنة السادسة ، شتاء عام 1414هـ/1994م. ص : 191 -211.

[4] ــ المرجع نفسه ، ص : 197.

[5] ــ شكري النجار: " لمَ الاهتمام بالاستشراق؟" ، مجلة الفكرالعربي، العدد31، بيروت ، 1983م، ص :60.

[6] ــ النملة علي إبراهيم : الاستشراق والدراسات الإسلامية (مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم). الرياض:مكتبة التوبة ، ، 1993 م ، ص : 22 . علي النملة : الاستشراق في الأدبيات العربية :عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب.(الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث الدراسات الإسلامية، 1414هـ/1993م.) ، ص ص 23-31.

[7] ــ إدوارد سعيد : الاستشراق. (ترجمة كمال أبو ديب). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية،1995م، ص 16.

[8] ــ ا. ج آربري. المستشرقون البريطانيون .تعريب محمد الدسوقي النويهي. (لندن: وليم كوليتر، 1946.)ص8.
رودي بارت.الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية(المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه). ترجمة مصطفى ماهر(القاهرة: دار الكتاب العربي) (بدون تاريخ) ص 11.

[9] ــ انظر: محمد مصطفى بن الحاج: عالميَّة اللغة العربيَّة: ص 259، 260، 265 .

[10] ــ أبو عبدالله محمد بن سعيد بن رسلان: فضل العربية ووجوب تعلمها على المسلمين ، طبعة جمادى الآخرة 1409 هـ، يناير 1989 م، عن دار العلوم الإسلاميَّة – القاهرة، ودار البخاري – المدينة المنورة، ص 34 .
وانظر: محمد سويس: اللغة العربية في مواكبة الفكر العلمي، (من قضايا اللغة العربية)... ص 142، وانظر: جمال الدين الشيال: التاريخ الإسلامي ، طبعة دار الثقافة، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 19-20، أحمد سمايلوفتش : فلسفة الاستشراق و أثرها في الأدب العربي المعاصر ، دار المعارف ، مصر ، 1980 م ، ص : 67 .

[11] ــ انظر: محمد مصطفى بن الحاج: عالميَّة اللغة العربية: ص 266. ومسمى (الموريسكو) أُطلق على المسلمين الذين لم يهاجروا من الأندلس بعد سقوط غرناطة وعرف أدبهم باسم (الجمياد) وهو محرف عن لفظ (أعجمي) الذي يسمَّى به غير العربي في العربية، انظر: صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين – بيروت، لبنان ، الطبعة الحادية عشرة ، 1986 م،ص : 357، 358 .

[12] ــ انظر: محمد مصطفى بن الحاج: المرجع السابق ، ص 265 .

[13] ــ أحمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق: ص 184، (المرجع السابق نفسه).

[14] ــ يوهان فك (1894 م ــ 1974 م) : أستاذ فقه العربية ، و الدراسات الإسلامية في جامعتي لايبزغ ، و هالة ، حصل على الدكتوراة من جامعة فرانكفورت سنة 1921 م ، أهم مؤلفاته : كتاب العربية و الذي ترجمه : رمضان عبد التواب سنة : 1980 م ، نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج 02 ، ص : 798 .

[15] ــ المرجع السابق نفسه: ص 184.

[16] – وُلد إسرائيل ولفنسون عام 1899م لأسرة يهودية أشكينازية ، ودرس بفلسطين، وتعلم اللغة العربية والعلوم الإسلامية واليهودية، ثم سافر إلى مصر والتحق بالجامعة المصرية، وصار أول طالبٍ يهودي يحصل على شهادة الدكتوراه طه حسين. ألف عدداً من الدراسات الهامة فيما يتعلق بالتراث اليهودي والإسلامي المشترك، نذكر منها: تاريخ اليهود في بلاد العرب (1927)، تاريخ اللغات السامية (1929). ثم سافر من بعد إلى ألمانيا وحصل هناك على درجة الدكتوراه من جامعة يوهان فولفجانج جوته

عام 1933م عن أطروحته «كعب الأحبار وأثره في كتب الحديث والقصص الإسلامية» ثم عاد بعد ذلك إلى مصر أستاذاً للغات السامية بكلية دار العلوم ، أنظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج 02 ، ص : 762 .

[17] _ مستشرق فرنسي نال درجة الدكتوراة في الآداب من السوربون ، و عين أستاذا بجامعة القديس يوسف ببيروت منذ 1945 م ، ليلقي محاضرات في فقه اللغة العربية و الساميات فيها ، و تتركز بحوثه في الدراسات الصوتية ، و الصرفية و العربية و الساميات و اللهجات الحديثة . أشهر مؤلفاته : العربية الفصحى . العربية الفصحى ، من مقدمة المترجم ، ص : 25 _ 27 .

[18] _ مستشرق انجليزي (1801 م _ 1876 م) : من أعماله العلمية : طباع و عادات المصريين المحدثين ، ترجمة كتاب ألف ليلة و ليلة ، و لقد كرس فترة طويلة من عمره لتأليف معجمه ، للمزيد أنظر : عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص : 523 ، 524 .

[19] _ مستشرق إنجليزي (1830 _ 1899): حقق العديد من المصادر العربية و منها رحلة ابن جبير سنة 1852 ، و الكامل للمبرد (فيما بين 1864 – 1882 م) ، و بعد وفاته نشرت محاضراته في النحو المقارن للغات السامية و ذلك سنة 1890 م ، عبد الرحمان بدوي : المرجع السابق ، ص : 273 ، 274 .

[20] _ مستشرق انجليزي ولد في12 مايو سنة 1905 ، من أهم أعماله العلمية تحقيق كتاب " الرياضة " للحكيم الترمذي ، و قام بترجمة للقرآن الكريم ، و واصل الترجمة لقصائد محمد إقبال . أنظر عبد الرحمان بدوي : موسوعة المستشرقين ، ص : 07 .

[21] انظر: المرجع السابق نفسه: ص ب، ج. د. وقد أورد أكثر من ثلاثين مستشرقًا من مختلف البلدان الغربية ومؤلفاتهم في المعاجم اللغوية

[22] _ انظر: نذير حمدان: اللغة العربية..: ص 98 - 134، (مرجع سابق)، وانظر: له أيضًا: مستشرقون (سياسيون، جامعيون، مجمعيون): ، الطبعة الأولى 1408هـ- 1988 م، عن مكتبة الصديق - الطائف. ص 137-231 .

[23] _ عفيف عبد الرحمان : الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري ، 421 _ 461 ، 407 _ 419 .

[24] _ و لعل أول تأثير للاستشراق الألماني في العالم العربي كان سنة 1870 م ، إذ تم الاتفاق على بين مصر و السلطات الأوربية على أن يكون عالم ألماني مديرا للمكتبة الخديوية ' الكتبخانة ' ، فكان أول مدير لها شتيرن ثم خلفه شبيتا ، و فولرز ، و موريتس ، ثم شادة .

[25] _ في علم اللغة التاريخي دراسة تطبيقية على عربية العصور الوسطى للدكتور البدراوي الزهران 1979 ، ملامح من تاريخ اللغة العربية للدكتور أحمد نصيف الجنابي 1981 ، اللهجة المصرية الفاطمية لعطية سليمان أحمد 1993 .

[26] _ فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان رمضان عبد التواب في كتابيه المدخل إلى علم اللغة و التطور اللغوي

[27] – برجشتراسر: مستشرق ألماني مشهور، ولد في عام 1886م ونال درجة الدكتوراه من جامعة ليبزج سنة 1911م، برسالته عن "استعمال حروف النفي في القرآن الكريم"، وحاضر في جامعات: ليبزج، وبرسلاو، وهيدلبرج، واستقر به المطاف أخيرا في ميونخ سنة 1926م، وانتخب عميدا لكلية الآداب بها سنة 1928م. وفي العام الدارسي 1929/ 1930م دعته كلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة، لإلقاء محاضرات في النحو المقارن بعنوان: "التطور النحوي للغة العربية"، وقد طبعت في مصر سنة 1930م. ثم دعته الحكومة المصرية مرة ثانية، في العام الدراسي 1932 /1931م ليلقي محاضرات في الجامعة عن: "نقد النصوص ونشر الكتب"، وقد طبعت في كتاب بالقاهرة سنة 1969م، في مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية.وضع أطلسا لغويا لسوريا وفلسطين، هو عبارة عن 42 خريطة تفصيلية وواحدة إجمالية، مع شرح لغوي في كتاب مستقل، طبع في ليبزج سنة 1915م. أنظر : رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الثالثة ، 1417 هـ / 1997 م ، ص: 159 .

[28] _ هما مناهج البحث في اللغة ، و اللغة بين المعيارية و الوصفية .

[29] _ تمام حسان عمر : ا للغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب الطبعة: الخامسة 1427هـ-2006 م .

[30] _ رمضان عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، جمهورية مصر العربية ، الطبعة: الثالثة 1417هـ - 1997

[31] _ انظر: لمجموعة باحثين: من قضايا اللغة العربية المعاصرة: ص 29، 21، 217، 238، 240، 261، 264، ففيها ما أكد الرباط الوثيق بين أعمال المستشرقين في مسار حركتهم العامَّة تجاه اللغة العربية والإسلام وبين التنصير والاستعمار والتغريب، وانظر: نذير حمدان: مستشرقون... (المرجع السابق نفسه): ص 255، 256.

[32] _ إبراهيم كايد : المرجع السابق ، ص 58 و ما بعدها .

[33] _ فلهلم شبيتا Spitta . W : مستشرق ألماني 1853 م _ 1883 م تخرج في اللغات الشرقية على فلايشر ليبزيج ، عين مديرا لدار الكتب المصرية ففهرس المخطوطات العربية ، و من آثاره قواعد اللهجة العربية العامة في مصر ، القصص العربية الحديثة ، أنظر : العقيقي : المستشرقون ، ج 2 ، ص 398 ، 399 .

[34] _ نفوسة زكريا:نفوسة زكريا سعيد: تاريخ الدعوة إلى العاميَّة، الطبعة الأولى، 1964 م،دار المعارف، القاهرة، ص55- 77

[35] – اتولد 27 :سبتمبر 1852 ، الهند - مات 28 : يوليه 1932 ، القاهره (كان مهندس مدنى بريطانى عمل مشاريع كبيره للرى فى جنوب افريقيا و تورکيا و العراق .ويلكوكس عمل مشاريع ضخمه للرى فى مصر اهمها سد اسوان و كان هو اول واحد يقترح على الحكومه المصريه انشاء سد فى اسوان و كمان من انجازاته التانيه مشروع قناطر اسيوط. ابتدا يهتم بدراسة الحاله اللغويه فى مصر و وصل لدعوة المصريين للكتابه باللغه المصريه الحديثه و نشر دعوته دى من اول سنة 1893 فى مجلة الازهار .فى العدد شهر يناير من نفس السنه نشر مقاله باسم)لما لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الان؟(A War of Words, Language and conflict in the Middle East,Yasir Suleiman, Cambridge University Press (2004).

[36] _ نفوسة زكريا : تاريخ الدعوة إلى العامية ، ص 24 .

[37] _ نفوسة زكريا : المرجع السابق ، ص 42، 43 .

[38] _ نفسه ، ص 27 ، 28 .

[39] _ محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار، عن مطبعة المدني، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الثانية، 1972 م، ص 147 . ولمزيد من معرفة عدد من المستشرقين الذين جندوا لإشاعة تلك الشبهات انظر:

نفوسة زكريا سعيد: تاريخ الدعوة إلى العاميَّة: ص 55- 77.

[40] مرزوق بن صنيتان بن تنباك: الفصحى ونظرية الفكري العامي: مطابع الفرزدق 1407 هـ- 1986 م– الرياض،ص 30 .

[41] _ انظر: المرجع السابق نفسه: ص 30.

[42] _ المرجع السابق نفسه: ص 31.

[43] _ محمود شاكر في كتابه أباطيل و أسمار ،ص :126-125.

[44] _ رمضان عبد التواب : بحوث و مقالات في اللغة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة ، الثالثة ، 1415هـ-1995م ، ص : 166 .

[45] _ إبراهيم السامرائي : من وحي القرآن ، اللجنة الوطنية للاحتفال ، بغداد ، العراق ، 1981 م ، ص : 07 .

[46] _ هاملتون جب Sir Hamilton Jibb من أعلام المستشرقين ولد في الإسكندرية يوم 02/ 01 / 1895 م و هو من أعلام المستشرقين و خليفة مرجليوث في أكسفورد ، كان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق و القاهرة ، عمل محاضرا للغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية (1921_ 1930 م) و أستاذ اللغة العربية في جامعة لندن (1930 _ 1937 م) و مديرا لمركز

دراسات الشرق الأوسط توفي يوم 22/ 10/ 1971 م من آثاره فتوح في آسيا الوسطى و علاقاتها الأولى ببلاد الصين ، تاريخ الأدب العربي ، دراسات في حضارة الإسلام ..أنظر : نجيب العقيقي : المستشرقون ، ج 02 ، ً 129 ، 130 .

[47] _ هاملتون جب : دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس ، محمد يوسف نجم ، محمود زايد ، دار العلم للملايين ، ط 1979 م ، ص 325 .

[48] _ ولد في بلدة دير القمر في لبنان عام 1892 م ، تخرج من جامعة كمبردج بانجلترا ، التحق بدائرة المعارف حيث تولى منصب مساعد لمديرها العام ، قبل تركه العمل فيها ، توفي في القدس عام 1942 م

[49] _ جورج أنطونيوس : يقظة العرب (تاريخ حركة العرب القومية) ترجمة ناصر الدين أسد ، إحسان عباس ، دار العلم للملايين ، ط 1987 م ، ص 807 .

[50] _ أنيس فريحة نحو عربية ميسرة ، ص ص 27 ، 28 .

[51] _ سلامة موسى البلاغة العصرية ، مصر ، 1945 ، أنظر نفوسة زكرياء : تاريخ الدعوة إلى العامية ، ص 148 .

[52] _ مصطفى السباعي : الاستشراق و المستشرقون مالهم و ما عليهم ، دار الوراق ، المكتب الإسلامي ، د. ت ، ص ص 29 ، 30 .

([53]) انظر: نايف معروف: خصائص العربية، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، 1998 م ، ص 74 .

[54] _ الشافعي : الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر: ص 42 .

[55] انظر: أحمد محمد جمال: تأمر الأعداء على لغة القرآن، (مجلة رابطة العالم الإسلامي، محاضرات موسم 1394/93 هـ): ص 98، تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، وانظر: إسماعيل العرفي: اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية: ص 21، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1985 م، عن دار الفكر - دمشق.

([56]) نقلاً عن: أحمد محمد جمال: المرجع السابق نفسه: ص 98.

([57]) ديوان حافظ إبراهيم (ضبط وتصحيح وشرح وترتيب): أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، 253/1، 254، عن دار الجيل - بيروت، (بدون تاريخ).

[58] – زيجريد أو زيكريد هونكه (26أبريل 1913 في كيل 15 - يونيو 1999) في هامبورغ (كانت مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام 1941..اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشارا في العالم العربي وهما شمس العرب تسطع على الغرب وكتاب الله ليس كذلك.

([59]) شمس العرب تسطع على الغرب، تعريب: إبراهيم بيضون وآخر: ص 13، 14، (مرجع سابق).

([60]) الإحكام في أصول الأحكام 32/1 .

([61]) محمد بن سعيد رسلان: فضل العربيَّة ووجوب تعلمها على المسلمين: ص 28، (مرجع سابق).

([62]) لمزيد من الاطلاع على هندسة (دنلوب) الماكرة وآثارها على اللغة العربيَّة والدين الإسلامي، راجع: محمود محمد شاكر: أباطيل وأسمار: 166، 171، 227، 257، 258 259، 442، 443، 444، 558، 559، 560، (مرجع سابق)،). وانظر: نايف بن ثنيان بن محمد آل= =سعود: المستشرقون وتوجيه السياسة التعليمية في العالم العربي، مع دراسة تطبيقية على دول الخليج العربي (دول مجلس التعاون)، الطبعة الأولى 1414 هـ، وأساسها رسالة ماجستير في الثقافة الإسلاميَّة نوقشت عام 1411 هـ في كلية الشريعة بالرياض: ص 186 - 197.

([63]) بكر أبو زيد: فقه النوازل: ص 102، 103، (من رسالة بعنوان: المواضعة في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأوضح اللغى؛ دراسة ونقد)، (مرجع سابق).

([64]) انظر: مازن المبارك: اللغة العربيَّة في التعليم العالي والبحث العلمي: ص 43، (مرجع سابق).

([65]) المرجع السابق نفسه: ص 43، 44.

([66]) انظر: أحمد مطلوب: دعوة إلى تعريب العلوم في الجامعات: دار البحوث العلمية، الكويت 1395 هـــ 1975 م، ص 25 – 53، وانظر: نائف معروف: خصائص العربيَّة..: ص 80، 81، (مرجع سابق).

([67]) مازن المبارك: المرجع السابق نفسه: ص 47، وانظر: شحادة الخوري: دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب: ص 185 – 193 الطبعة الأولى 1989 م، عن دار طلاس، دمشق، فقد أورد في الصفحات المشار إليها آنفًا ثلاث تجارب تاريخيَّة أثبتت قدرة اللغة العربيَّة على استيعاب مسيرة الإنسانية الحضارية؛ وكانت التجربة الأولى في القرن الثاني للهجرة...، أمَّا التجربتان الأخريان فكانتا في العصر الحديث إحداهما في مصر وبيروت، إذ بدأ التعليم الطبي فيهما باللغة العربيَّة، والثانية بدأت في دمشق، وهي المشار إليها أعلاه.

[68] ـ بحوث مصطلحية ، أحمد مطلوب ، منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، 1427 هـــ / 2006 م ، ص 100 ، 101

[69] ـ ص 103 .

[70] ـ المرجع نفسه ، ص ص 118

[71] ـ هو محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب البلخي باحث من أهل خراسان و لد في بلخ ، و توفي سنة 387 هـ (998 م) و ترك كتاب مفاتيح العلوم و هو كتاب جليل القدر . أنظر كشف الظنون ، ج 02 ، ص 1756 . المقريزي : الخِطط ، ج 01 ، ص 258 . و يعتبر كتاب مفاتيح العلوم أقدم كتاب موسوعي بالعربية يتعرض للعلوم و مصطلحاتها و نشر في ليدن 1895 م ، و نشر في القاهرة لأول مرة سنة 1342 هـ . أحمد مطلوب : المرجع السابق ، ص : 131 .

[72] ـ المرجع نفسه : 119 ، 124

[73] ـ نفسه : ص 166

[74] ـ نفوسة زكريا ، ص 24 .

[75] ـ أنيس فريحة : نحو عربية ميسرة ، ص 26 .

([76]) انظر: نذير حمدان: اللغة العربيَّة: ص 44، 45، (مرجع سابق).

([77]) انظر: محمد مصطفى بن الحاج: عالمية اللغة العربيَّة، (من قضايا اللغة العربيَّة)..: ص 217 (مرجع سابق).

([78]) انظر: صلاح عبدالمقصود وحسن علي ربا: لغة القرآن بين مكر الأعداء... وحرص الأبناء؛ تحقيق: نشر في مجلّة الأُمَّة (مرجع سابق)، العدد [43]، رجب 1404هـ: ص 59 تحت عنوان: (مجمع اللغة العربيَّة لماذا ؟).

([79]) المرجع السابق نفسه: ص 59.

([80]) انظر: رمضان عبدالتواب: بحوث ومقالات في اللغة: ص 167 – 170.

[81] ـ نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة للعامية ، ص 21 .

[82] ـ أنيس فريحة : ص 125 ـ 194

[83] ـ محمود تيمور : مشكلات اللغة العربية ، ص 16 .

[84] ـ علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص 168 ، إسماعيل أحمد لعمايرة : خصائص العربية في الأفعال و الأسماء ، دار الملاحي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط 1408 هـ ، ص 41

[85] _ أرنست رينان : 1823 _ 1892 مستشرق فرنسي ، ولد في مدينة تريجية بفرنسا ، دخل المدارس اللاهوتية ، حيث برز فيها ، و رحل إلى المشرق و نزل بلبنان ، عني بالعقائد الإسلامية من آثاره : تاريخ اللغات السامية ، تقدم الآداب الشرقية ، مفردات عربية . المستشرقون ، 1/ 191 .

[86] _أحمد بن نعمان : التعريب بين النظرية و التطبيق ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، ط 01 ، 1401هـ ، ص 472 .

[87] _ انظر: من قضايا اللغة العربية المعاصرة: ص 130، 168، 185، 272، (مرجع سابق)، وانظر: نذير حمدان: اللغة العربيَّة..: ص 74 – 97، (مرجع سابق)، وانظر: السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام معًا في معركة المواجهة، ، من سلسلة (دعوة الحق)، السنة السادسة، العدد [60]، ربيع الأول 1407 هـ، عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة ، ص 47 .

[88] _ إسماعيل أحمد لعمايرة : المستشرقون و تاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية ، 1992 م ، دار حنين ، عمان ، الأردن ، الطبعة الثانية ، ص 65 ، 66 .

[89] _ القلقشندي: صبح الأعشى 149/1، طبعة، 1383 هـ-1963 م، عن المؤسسة المصرية العامة..، القاهرة، وانظر: نايف معروف: خصائص العربية وطرائق تدريسها: ص 38،39 الطبعة الثانية 1407 هـ-1987 م، عن دار النفائس – بيروت.

[90] _ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب: ص 11، عن دار المعارف – مصر، الطبعة السادسة، (بدون تاريخ)، وانظر: محمد مصطفى بن الحاج عالميَّة اللغة العربية: ص 270، (مرجع سابق).

[91] _ أشتات مجتمعات في اللغة والأدب: ص 11، 12، (المرجع السابق نفسه)، وانظر: محمد مصطفى الحاج: عالمية اللغة العربيَّة: ص 270، (المرجع السابق نفسه).

[92] _ نقلاً عن: الحاج: المرجع السابق نفسه: ص 274، وانظر: نائف معروف: خصائص العربيَّة وطرائق تدريسها: ص 40، (مرجع سابق).

[93] _ نقلاً عن: الحاج: المرجع السابق نفسه: ص 274، وانظر: نائف معروف: المرجع السابق نفسه: ص 40. انظر: ابن فارس: الصاحبي: ص 6 – 31، (مرجع سابق)، وابن جني: الخصائص 44/1 – 47، تحقيق: محمد علي النجار، (بدون تاريخ و لم يذكر الناشر)، وانظر: السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: 8/1 – 55، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرين، طبعة دار إحياء الكتب العربيَّة (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، بدون تاريخ، وانظر: ابن حزم: الإحكام في أصول الأحكام: 29/1 – 35، (مرجع سابق)، وانظر: محمد الخضر حسين: دراسات في العربية وتاريخها، الطبعة الثانية 1380 هـ-1960 م، عن المكتب الإسلامي، دمشق، ص 10.

[94] _ انظر: ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة.. ص 77 – 81، (مرجع سابق)، وانظر: شكري فيصل: قضايا اللغة العربية المعاصرة...، بحث مدرج في: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، المرجع السابق نفسه: ص 32.

[95] _ انظر: جميل عيسى الملائكة: اللغة العربيَّة ومكانتها في الثقافة العربيَّة الإسلاميَّة: ص 129، (مرجع سابق)، وانظر: محمد سعيد بن رسلان: فضل العربية: ص 40 – 44، (مرجع سابق).

[96] _ شكري فيصل: قضايا اللغة العربيَّة المعاصرة، ص 32، (المرجع السابق نفسه).

[97] _ محمد مصطفى الحاج: عالمية اللغة العربيَّة، ص 258 .

[98] _ انظر: الحاج: المرجع السابق نفسه: ص 258.

[99] _ سورة الحجر: الآية (9).

[100] _ ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، السابعة، 1419هـ – 1999م ، ص 203 .